# دراسات
# في السيرة النبوية

محمد سرور بن نايف زين العابدين

دار الأرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وسلم ، أما بعد :

فهذه بحوث في السيرة النبوية كنت قد نشرتها على شكل حلقات متسلسلة في عامي ١٣٩٤ و ١٣٩٥ هـ ، وكان الهدف من نشرها أن يطلع عليها أهل العلم والمعرفة لأستفيد من آرائهم ونصائحهم قبل جمعها في كتاب ، وقد تحقق ماكنت أبغيه والحمد لله .

ولم أستطع تنقيح هذه البحوث خلال الفترة الزمنية الماضية بسبب انشغالي بأمور أخرى لاتقل عنها أهمية ... وعندما تيسرت لي الأسباب أعدت قراءة هذه البحوث من جديد فازددت قناعة وثقة بما حوته من أدلة وبراهين ، غير أني أعدت الصياغة كلها ، كما أعدت ترتيب عرض الأدلة والردود ، وأضفت أموراً كثيرة اقتضاها الحال .

وقد يسأل بعض القراء :
وهل تشكو المكتبة الإسلامية من ندرة كتب السيرة ، وماالجديد الذي سوف يقدمه المؤلف ؟!

وجوابي على ذلك : نعم هناك أمور جديدة في فهم السيرة النبوية ، وفي كيفية ربطها بواقعنا المعاصر ، وقد تحدثت عن منهجي في البحث وعن الحاجة إلى مثل هذه المؤلفات في أبواب ثلاثة :
**الباب الأول** : لماذا منهج الأنبياء ؟! من كتابي « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » . وقد حذرت في هذا الباب من خطورة تقليد الرجال واعتبار أقوالهم وآرائهم مناهج وأدلة شرعية لايجوز مخالفتها أو الخروج عليها ، وبيّنت الأسباب التي توجب التمسك بمنهج أنبياء الله وعلى رأسهم خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى اخوانه أنبياء الله وسلم .

وبهذه المناسبة أقول :

إن هذا المؤلف ومايتبعه من مؤلفات في السيرة النبوية تعد جزءاً لايتجزأ من سلسلة الحديث عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .

**الباب الثاني** : ماأشبه الليلة بالبارحة ، وهو الباب الأول من هذا الكتاب ، تكلمت فيه عما تعانيه البشرية اليوم من ضياع وتفسخ وانهيار ... كما تحدثت فيه عن فساد العقائد والتصورات المعاصرة ، وبينت أوجه الشبه بين أحوال العالم قبل بعثة خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ وأحوال عالمنا المعاصر ، وأنه لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ونقلت طائفة من أقوال ومؤلفات كبار الساسة والعلماء الغربيين والشيوعيين الذين يشهدون على فشل النظامين : الرأسمالي والشيوعي ، ويبحثون عن منقذ لهذه البشرية من الدمار .

**الباب الثالث** : منهج رجال خير القرون في كتابة السيرة النبوية ، وهو الباب الثاني من هذا الكتاب ، وقد ختمت الباب بقولي :

« هذا هو منهج رجال خير القرون في كتابة سيرة الرسول ﷺ ، وفي رسم القواعد والضوابط التي نعرف من خلالها أحوال الرواة وأخلاقهم وميولهم .

وهذه شبهات المستشرقين تتهاوى واحدة تلو الأخرى ، وقد ظهر لكل منصف بطلان أقوالهم وفساد نواياهم .

وهذه اعترافات عدد من المستشرقين والعلماء الغربيين بسلامة المنهج الذي سار عليه علماء المسلمين في كتابة السيرة النبوية ، وقد ألجأتهم الحقائق المذهلة إلى تسجيل هذه الإعترافات .

ومما ينبغي التأكيد عليه أنني أردت من وراء كتابة هذا الباب : [ منهج رجال خير القرون ] مايلي :

ـــ هذا هو المنهج الذي سألتزم به إن شاء الله في كل ماسوف أكتبه عن السيرة النبوية ، وعن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .

ـــ أن يكون واضحاً عند من يتابع معي هذا البحث فساد مناهج المستشرقين ودعاة التغريب وزعماء المدرسة الإصلاحية » .

ومن شاء المزيد فليعد إلى قراءة هذه الأبواب الثلاثة ... ولاأجد كبير فائدة في هذه المقدمة من تكرار ماقد فصلت القول به .

ومما يحز في النفس ويكلم الفؤاد أن كثيراً من الدعاة لايكتبون في السيرة ربع أو عشر مايكتبون عن شيوخهم ، وإذا ذكروا أحاديث نبوية فمن أجل أن يثبتوا للمعترضين صحة أقوال شيوخهم ، وقد بلغني أن أحدهم يتكلم في محاضراته عن مسألة علمية ، ويسهب في سرد الأدلة وأقوال كبار الأئمة والمحققين ويختم حديثه قائلاً :
أما شيخنا ففي كلمات قليلة وضع النقاط على حروفها ، واستوفى كل ماقاله العلماء دون ملل ولاإسهاب .

ياسبحان الله كيف تكون أقوال شيخهم أكثر بلاغة وشمولية من أقوال رسول الله وصحابته الغر الميامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ؟!

ونحن لانعرف عن هؤلاء الناس إلا حب الله ورسوله ... ولكن قاتل الله الغلو في تعظيم الرجال .

إن الواجب الإسلامي يفرض على العلماء وأصحاب الأقلام من الدعاة إلى الله الكتابة في سيرة الرسول ﷺ ، وهم واجدون فيها من غير شك كنوزاً ونفائس في مختلف أنواع العلوم : كالعقائد ، والتفسير ، والفقه ، والتربية والسلوك ، والدعوة والإرشاد ، والإدارة والتخطيط ، وفي العلوم العسكرية ، والسياسية ، وفي التضامن الإجتماعي والإقتصادي ...
كما أنهم واجدون في السيرة أنجح الحلول للمعضلات التي تواجهنا في هذا العصر ، وفوق هذا وذاك فلقد كان ﷺ قدوة حسنة في كل عمل طيب .
ولقد قلت غير مرة :

لم يحدث أن اجتمعت كلمة المسلمين في مختلف بقاع الأرض على مذهب من المذاهب ، أو حزب من الأحزاب ، أو على كتب ومؤلفات عالم من العلماء ، ولكنهم اجتمعوا واتحدوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وماكان عليه الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم . وقد أوجب الله علينا طاعة الرسول ﷺ واتباع أمره . قال تعالى :
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ . ( سورة النور ، الآية : ٦٣ )

وقال تعالى :

﴿ ومأأرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ . ( سورة النساء ، الآية : ٦٤ ﴾

وقال تعالى :
﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ . ( سورة آل عمران ، الآية : ٣١ )

وقال تعالى :
﴿ وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ . ( سورة النجم ، الآيتان : ٣ و ٤ )

وقال تعالى :
﴿ ومآآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ . ( سورة الحشر ، الآية : ٧ )

من أجل هذا كتبت « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » .
ومن أجل هذا أيضاً كتبت هذا الجزء من « دراسات في السيرة النبوية » ، وكان معظمه في نقد مناهج المستشرقين ودعاة التغريب ، وزعماء المدرسة الإصلاحية وغيرهم من الباطنيين والمبتدعين . وفي الجزء القادم سأبدأ في عرض وقائع السيرة ـــ إن شاء الله ـــ وسوف يكون عن سيرة الرسول ﷺ قبل البعثة .

ولن أعرض أحداث السيرة حسب ترتيبها الزمني أو التاريخي ـــ وربما تجاوزت ذكر بعض الأحداث ـــ ولكني سوف أدرس السيرة كموضوعات ، وكل موضوع يشمل مايلي :
ـــ الأحاديث والروايات الصحيحة مع ذكر تخريجها :
ـــ ربط هذه الأحاديث والروايات مع بعضها ، واستخراج ماتحويه من فقه وأحكام وعبر .
ـــ ربط الأحداث والموضوعات بواقع عصرنا ، وبيان مافيها من حلول لمعضلات العصر .

فإن وفقت إلى ماأبغيه فالفضل في ذلك والمنة لله وحده ، وإن كان الأمر غير ذلك فعزائي أني بذلت طاقتي واستفرغت جهدي ، ولم أتسرع فيما كتبت وجمعت .

وأسأل الله أن يجمع أمة محمد ﷺ على المنهج الحق الذي كان عليه خير القرون ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

برمنجهام : ١٥ شوال ١٤٠٦ هـ
٢٢ حزيران ١٩٨٦ م

# القسم الأول

الباب الأول : ماأشبه الليلة بالبارحة

الباب الثاني : منهج رجال خير القرون في كتابة السيرة النبوية

# الباب الأول

## ماأشبه الليلة بالبارحة

الفصل الأول : العالم قبل البعثة
الفصل الثاني : العالم اليوم
الفصل الثالث : العالم الإسلامي اليوم

# الفصل الأول

## العالم قبل البعثة

تمهيد :

كان الناس قبل البعثة النبوية يعيشون في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، وكان أثر الأنبياء في أقوامهم كرؤيا جميلة في نوم طال أمده ، أو كومضة برق في ليل حالك ظلامه .

وكان أتباع معظم أنبياء الله آحاداً من الناس ينقرضون بعد جيل أو جيلين ، ومأأن انتصف القرن السادس الميلادي حتى كانت شقاوة الجاهلية تلف العالم بأسره ، وتسقيه كؤوس الظلم والتخلف والوثنية ، لقد أطفئت مشاعل التوحيد ، وعم الفساد في كل واد ، ولجأ الحنيفيون إلى الكهوف وقمم الجبال فراراً بدينهم وخوفاً من بطش الظالمين وتنكيلهم ، وتفنن الناس في صناعة الأصنام والأوثان واتخاذها آلهة من دون الله .

وكانت الأمم الكبيرة تستعمر الشعوب الصغيرة وتستذلها ، وكان القوي يستعبد الضعيف ويستغله .

وسوف أتحدث في هذا الفصل عن أخلاق وعقائد أهم شعوب الأرض قبل البعثة النبوية .

### أولاً ــ الرومان :

من أهم الإنحرافات في تاريخ النصارى تلكم الأناجيل التي مأأنزل الله بها من سلطان ، وليس هذا رأي للمسلمين وحدهم ، فالمحققون من المؤرخين

ـــ غربيين كانوا أو شرقيين ـــ لايعرفون متى كتبت الأناجيل الأربعة (١) التي اقتصر رجال الدين النصارى عليها ، ولا من الذين كتبوها ، ويؤكدون أن أحداً من كتاب هذه الأناجيل لم يلق عيسى بن مريم عليه السلام .

ثم توالت هذه الإنحرافات ففي سنة ٣٠٥ م استغل قسطنطين النصرانية أبشع استغلال واتخذها جسراً لبسط نفوذه وقهر أعدائه . لقد انتصر النصارى بقيادة قسطنطين في ساحات القتال ، وهزموا خصومهم ، وربحوا ملكاً عظيماً غير أنهم خسروا البقية الباقية من عقيدتهم ، وهُزموا حقاً في معترك الأديان ، وأصبحت النصرانية في عهد قسطنطين مزيجاً من فلسفة اليونان ، ووثنية الرومان والأفلاطونية المصرية .

وبلغت الإنحرافات أوجها سنة ٦٣١ م عندما صمم هرقل على إظهار المذهب « المنوثيلي » بسبب الصراعات الدامية بين « الملكانية » الذين كانوا يعتقدون ازدواج طبيعة المسيح ، و« المنوفيسية » الذين كانوا يستبشعون تلك العقيدة ويستفظعونها ، وكان القبط من دعاة المنوفيسية بينما كان الملك ومن حوله من دعاة الملكانية ... وعندما جعل المذهب « المنوثيلي » مذهباً رسمياً للدولة ثار عليه القبط ونابذوه العداء فاضطهدهم وخاض معهم عدداً من المعارك الطاحنة .

لقد كانت رسالة المسيح عليه السلام بريئة من هذه الأناجيل والمذاهب التي ابتدع بعضها رجال مجهولون عجز المؤرخون عن تحديد زمانهم ومعرفة أسمائهم ، وبعضها الآخر ابتدعه أباطرة الرومان ومن لاذ بكنفهم من الرجال الذين يتاجرون بالدين .

وجملة القول : لقد تلاشت تعاليم المسيح عليه السلام قبل بعثة المصطفى ﷺ كما تتلاشى القطرة في اليم .

أما من الناحية الإجتماعية والإقتصادية فقد بلغ الفساد غايته ، وتفشت الفوضى ، وتضاعفت الضرائب حتى أصبح أهل البلاد المستعمرة يمقتون حكامهم مقتاً شديداً ، ويبحثون هنا وهناك عن منقذ .

---

١ ـــ اختار مجمع نيقية سنة ٣٢٥ أربعة أناجيل هي : متّى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا من بين أناجيل كثيرة واستبعدوا الأناجيل الأخرى وأتلفوها .

صوّر الكاتب الأمريكي « درابر » وضع الرومان الإجتماعي أجمل تصوير فكان مما قاله :

« بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتاراً ، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة للتمتع ، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ومن لهو إلى لذة ، ولم يكن زهدهم وصومهم في بعض الأحيان إلا ليبعث على شهوة الطعام ، ولم يكن اعتدالهم إلا ليطول به عمر اللذة ، كانت موائدهم تزهو بأواني الذهب والفضة مرصعة بالجواهر ، ويحتف بهم خدام في ملابس جميلة خلابة وغادات رومية حسان وغوان عاريات كاسيات غير متعففات ، ويزيد في نعيمهم حمامات باذخة وميادين للهو واسعة ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو مع السباع ، ولايزالون يصارعون حتى يخرالواحد منهم صريعاً يتشحط في دمه [٢] .

## ثانياً ــ الفرس :

حكم الفرس معظم بلاد المشرق ، وكانوا والرومان كفرسي رهان يتنافسون على زعامة العالم واستعباد شعوبه ونهب خيراتهم ، ولم يكن الفرس أحسن حالاً من خصومهم الرومان في أخلاقهم وعقائدهم .

فمن حيث الإعتقاد كان « مزدا » من أشهر آلهة الفرس وأقدمها ، وهو إله القبائل المستقرة والمتمدنة ، أما القبائل الرحل والمحاربون واللصوص فكانوا يعبدون الشياطين .

ومنذ الوقت الذي دخل فيه الإيرانيون التاريخ و « مزدا » هو الإله الأعلى عندهم ، وهو الذي يتولى إرسال الأنبياء إلى أهل الأرض ، ومن أهم رسله : زردشت الذي زعم بأن النور والظلمة أصلان متضادان وهما مبدأ وجود العالم ، وحصلت التراكيب من امتزاجهما ، كما أن الصور حصلت من التراكيب المختلفة .

وقد انبثق عن امتزاج النور مع الظلمة : الخير ، والشر ، والصلاح ،

---

٢ ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لأبي الحسن علي الحسني الندوي ــ ص ١٦٥ .

والفساد ، والطهارة ، والخبث ، ولولا هذا الإمتزاج لما وجد العالم ... ولسوف يستمر الصراع بينهما حتى يغلب النور الظلمة ، ويغلب الخير الشر ، ثم يتخلص الخير إلى عالمه ، وينحط الشر إلى عالمه وذلك هو سبب الخلاص .

ويقدس الزردشتيون الماء إلى درجة أنهم لايغسلون به وجوههم ، ولايجوز استعماله عندهم إلا للشرب أو لري الأرض الزراعية .

والزردشتية دين يعتمد دعاته في نشر أصوله على تنظيم دقيق يربط القيادة بالقاعدة وعندهم درجات ومراتب ، وقد تطور أمرهم بعد اعتناق ازدشير الأول وابنه سابور الزردشتية واتخذا منها ديناً لدولتهم (٣) .

وبعد هلاك زردشت بعدة قرون ادعى « ماني » النبوة ، ونوجز فيما يلي أصول عقيدته :

ـــ قال ماني : إن العالم مصنوع من أصلين : نور ، وظلمة ، لكنه خالف سلفه من المجوس في قولهم : إن الظلام محدث وليس قديماً .

ـــ أخذ ماني عن النصرانية عقيدة التثليث ، فالإله عنده مزيج من : « العظيم الأول » ، و « الرجل القديم » و « أم الحياة » . وفي النصوص التي حفظت عن المانوية عبارات مأخوذة عن الأناجيل المسيحية .

ـــ يعتقد ماني بتناسخ الأرواح ، وأن هذا التناسخ يقع على الأجزاء النورانية من الإنسان .

ـــ آمن « ماني » بنبوتي عيسى عليه السلام وزردشت وزعم أنه خاتم الأنبياء ، وقد أرسل لتبليغ كلام الله للناس كافة (٤) .

وفي سنة ٤٨٧ م ظهر « مزدك بن بامداد » في عهد « قباذ » والد كسرى أنوشروان فنادى بتقسيم الأرزاق بين الناس بالتساوي ، ونهى عن المخالفة والمباغضة والقتال ، كما نادى بالإباحية والفجور .

قال ابن جرير :

« وحض [ مزدك ] السِّفْلَة على العِلْية ، وسهل السبيل للظَّلَمةِ إلى الظلم وللعُهَّار إلى قضاء نهمتهم ، وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله وصاروا لايعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه ، ولايملك الرجل شيئاً مما يتسع

---

٣ ـــ الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢٣٦ ، ٢٣٨ ـــ دار المعرفة .

٤ ـــ مروج الذهب للمسعودي : ١ / ٢٥١ ، وإيران في عهد الساسانيين ص ١٦٩ .

به . وساعد المزدكيين على المضي بجرائمهم ، وتحقيق الشيوعية التي يدعون إليها ، استجابة [ قباذ ] لهم وتعاونه معهم ، وأن أخاه [ جاماسب ] كان واحداً منهم ، وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيعلبونه على منزله ونسائه وأمواله » (٥) .

وكان أتباع مزدك يزهدون ويحرمون على أنفسهم بعض الأطعمة كاللحوم مثلاً ، وإذا أضافوا إنساناً لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائناً ماكان ، ولهم فلسفة خاصة في الإباحية ومن ذلك قولهم :
إن العاديين من الناس لايستطيعون التخلص من حب اللذات المادية إلا في اللحظة التي يستطيعون فيها إشباع هذه الحاجات بالإختيار .

واستمر بلاء المزدكية حتى جاء كسرى أنوشروان بن قباذ ، فرد الأموال لأهلها ، وجعل الأموال التي لاوارث لها رصيداً لإصلاح مافسد ، وكان ذلك بعد ولادة الرسول ﷺ .

ومثل هذه العقائد تعكس أوضاعاً اجتماعية مزرية : منها ماذكرناه عن الإباحية التي كان ينادي بها مزدك وبطانته .
ومنها ماذكره المؤرخون في تاريخ فارس أن يزدجرد الثاني [ الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي ] تزوج بابنته ثم قتلها .
ومنها أن [ بهرام جوبين ] الذي تملك في القرن السادس (٦) كان متزوجاً بأخته ، يضاف إلى هذا وذاك أن تاريخ الفرس يمتاز بالفتن والمؤامرات، وطالما قتل الأخ أخاه والإبن أباه من أجل الحكم .

## ثالثاً ــ الهند والصين :

عرفت بلاد الهند والصين ديانات كثيرة أهمها :
١ ــ **البرهمية** : يؤمن أتباع هذه الديانة بأن « برهماً » إلهاً لهم ، ونظام عقيدتهم طبقي ، فطبقة البراهمة يزعمون أنهم خلقوا من رأس إلههم [ براهما ] ، وطبقة الجند يعتقدون أنهم خلقوا من مناكب [ براهما ] ، وطبقة الزراع والتجار خلقوا

٥ ــ تاريخ الطبري : ٢ / ٩٩ .
٦ ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للندوي ص ٣٨ ، وتاريخ الطبري : ٣ / ١٣٨ .

من ركبتي [ براهما ] ، وطبقة الخدم والرقيق خلقوا من قدمي [ براهما ] ، ودون هذه الطبقات طبقة أبناء الزنى والمحرومين ، ويسمون من ليسوا من الهنود [ ابلبيج ] ومعناها أنجاس .

وجاء في قانونهم وصفاً لطبقة الخدم ـــ أي شودر ـــ وهذا نصه : « من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب غير ذلك ، وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزاً فإن ذلك يؤذي البراهمة ، وإذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت رجله ، وإذا همَّ أحد من المنبوذين أن يجالس برهمياً فعلى الملك أن يكوي إسته وينفيه من البلاد ، وأما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، وإذا ادعى أنه يعلمه سقي زيتاً فائراً ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة ـــ شودر ـــ سواء » .

٢ ـــ **البوذية** : في سنة ٥٦٠ ق.م نهض [ بوذا ] يبشر بدين جديد من أهم أركانه الزهد وعدم الإنتفاع من خيرات الدنيا ، وكانت تعاليمه شاقة لايقوى عليها إلا خواص الناس ، وعمل [ بوذا ] على انقاذ الهنود من انحراف البرهمية التي أرهقتهم بنظام طبقاتها .

ومن الجدير بالذكر أن [ بوذا ] أنكر وجود إله يصرّف شؤون الكون ... ولهذا انتشرت عبادة الأوثان بين من جاءوا بعده .

٣ ـــ **كونفوشيوس** : ظهر [ كونفوشيوس ] في الصين ، وكان يؤمن بتعدد الآلهة ، ونادى بتجديد عقيدة الصينيين القدامى التي تتلخص في عبادة السماء ـــ أي الأفلاك ومداراتها ـــ والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء ، والملائكة وأرواح الآباء .

وهناك آلهة وأوثان أخرى تعبد من دون الله سبحانه وتعالى ، وقد بلغ عددها في القرن السادس الميلادي ٣٣٠ مليون إله . هذا في الهند وحدها فكيف يكون الحال في جميع بلدان العالم ؟!

وتميزت ديانات الهند عن غيرها بالمواد الجنسية والمهيجات الشهوية ، فبعضهم كانوا يعبدون آلة التناسل ، وبعضهم الآخر كانوا يعبدون النساء

العاريات ، والنساء يعبدن الرجال العراة [٧] .

## رابعاً ــ اليهود :

كانوا منتشرين في كل من أوربا وآسيا وإفريقيا [٨] ، وهم اليهود الذين نعرفهم عن كثب في فلسطين المحتلة : يعبدون المادة ويتفننون في طرق جمعها واحتوائها . ومن ذلك : الإحتكار ، والربا .

وكانوا ينظرون إلى غيرهم نظرة استصغار ، ويتقوقعون على أنفسهم ، ومن أخص صفاتهم المكر والخبث والخيانة .. وقد أورثتهم هذه الصفات كرهاً من جميع شعوب الأرض ، وكانت سبباً في محن ومصائب ألمت بهم في جميع حقب التاريخ .

وفي القرن السادس الميلادي وقعت حرب طاحنة بين الفرس والرومان ، انتصر فيها الفرس لأن اليهود وقفوا بجانبهم ، وسهلوا لجندهم احتلال بلاد الشام ومصر .

وبعد رحيل الفرس عن البلاد التي احتلوها بطش الرومان باليهود وردوا لهم الصاع صاعين بسبب غدرهم وخيانتهم .

## خامساً ــ العالم العربي :

كان العرب في جزيرتهم متفرقين يعيشون حياة شاقة ، وكانت القبائل تجوب الصحاري الواسعة بحثاً عن الكلأ والماء ، وكان القوي يبطش بالضعيف ، وكانت الحروب تقع بينهم لأتفه الأسباب ، فحرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب كان سببها ناقة ، ومع ذلك استمرت أربعين سنة وأكلت

---

٧ ــ اعتمدت على المصادر التالية :
الملل والنحل للشهرستاني : ٤ / ١٢٧٠ ، وخاتم النبيين للشيخ محمد أبو زهرة : ١ / ١٤ ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي من صفحة ٤٧ إلى ٥١ .

٨ ــ كان الرومان يحكمون معظم البلاد الأوربية ، وبلاد الشام وشمال إفريقيا .

الأخضر واليابس .

وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، سببها اعتراض فرس قيس بن زهير واسمها داحس . وقد انتهت بخسائر جسيمة في الأموال والأرواح .

وكان الحكم في البلدان العربية للنظام القبلي ، وأفراد القبيلة لايسألون من يستنصرهم بل يهبون جميعاً لنصرته ضد أعدائه وشعارهم في ذلك :

« انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .

وقول الشاعر :

لايسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على مافال برهاناً

لقد قامت للعرب ممالك في كل من اليمن والعراق والشام ، لكنها كانت ممالك هزيلة ضعيفة ، وكان الملك العربي كعصفور في قفص ذهبي لايستطيع أن يخرج منه إلا بأمر يصدر عن كسرى أو هرقل .

فالفرس كانوا يستعينون بالعرب اللخميين ، في حين كان الرومان يستعينون بالعرب من آل جفنة ــ الغساسنة ــ ، وإذا نشبت حرب بين الرومان والفرس كان الغساسنة يقاتلون المناذرة ، ولاخيار لهم بذلك ، وعندما اعتذر النعمان بن المنذر لكسرى لأنه لايستطيع تنفيذ ماأمره به ، غضب عظيم الفرس ففر ملك الحيرة رهبة وخوفاً ، وطاف القبائل العربية طالباً المنعة ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى .

واضطر النعمان بن المنذر إلى الإستسلام ، فأودع أهله وماله عند هانىء بن مسعود الشيباني ، ثم توجه إلى كسرى ووقف ذليلاً ببابه يطلب منه أن يغفر له ذنبه،فما كان من طاغوت الفرس إلا أن قيده وسجنه حتى مات ، ثم استعمل مكانه إياس بن قبيصة الطائي عاملاً له على الحيرة (٩) .

أما شبه الجزيرة العربية فكانت تقوم بها دويلات صغيرة ثم تنهار بعد زمن يسير لأنها تفتقد مقومات الدولة ، ولو كان في هذه البلاد نفع لما تردد الفرس أو الرومان في احتلالها والسيطرة عليها .

---

٩ ــ الكامل في التاريخ لابن الأثير : ١ / ٤٨٢ .